

## الفصل التاسع

### أطفالي

خططنا صيف عام ٢٠٠١م أن نذهب إلى الأردن في عطلة، لكن كان علينا أن ننتظر حمزة حتى يأخذ إجازة من العمل؛ لذلك أمضيت أنا والأطفال أيامنا نلعب على الشاطئ، ونأكل الحلويات، ونحزم أمتعتنا إلى أن أصبح حمزة جاهزاً للمغادرة، وعندما سافرنا أخيراً إلى الأردن بقيت في منزلنا هناك مع أطفالي، لكن لم يبق معنا حمزة إلا أربعة أيام، ثم ذهب إلى فلسطين ليرى غادة، وترك الأطفال معي؛ حتى لا أشعر بالوحدة، لكن في الحقيقة كان خائفاً من أن أحداً من أبنائي يؤذيها.

تركته هذه المرة يذهب دون شجار، فقد قررت أن أستمتع بعطلتي بغض النظر عما يفعله زوجي مع زوجته الأخرى في فلسطين، ذهبت إلى منزل والديّ، وبقيت معهما طوال اليوم، أما أطفالي فتركتهم يمضون الليلة عند أولاد أخوالهم وخالاتهم، ولم أهتم إن اكتشف حمزة الأمر، فليغضب! ماذا يسعه أن يفعل لي الآن؟

في نهاية شهر تموز تقريباً عاد حمزة من فلسطين. وأخبرني فجأة بأني لن أعود معه إلى السعودية.

«وعدت والديّ غادة أن آخذها معي، سيأتي يوسف وأنس وسارة معنا وغادة، أما روان وعبد الرحمن فسابقان معك».

أجبت، ويداى ترتعشان: «لا، لن تأخذهم».

«أنا والدهم يا فدوى، ولي الحق في اتخاذ هذا القرار».

لم أقل شيئاً، لكنني لم أكن لأدعه يغادر البلد مع أطفالي، وتساءلت: كيف سيأخذ غادة إلى شقتنا في سكن أرامكو. فأرامكو شركة أمريكية، ولا تعترف بتعدد الزوجات، وكيف استطاع حمزة الحصول لها على تأشيرة هناك؟

قررت أن أكتشف الأمر، أحضر حمزة معه إلى المنزل حقيبة سفر سحّاباها مربوطان بقفل. فعرفت أن هناك سبباً جعله يضع ذلك القفل، وفي صباح اليوم المقبل، بينما كان



الجميع نائمين أحضرت سكيناً من المطبخ، وكسرت القفل، ووجدت داخل الحقيبة ظرفاً بنياً كبيراً، فعرفت أن تأشيرة غادة في داخله.

كنت مخطئة، فعندما أخذت الظرف إلى غرفتي، وفتحته لم أجد اسم غادة على الأوراق، بل اسمي في كل صفحة كان اسم (فدوى حمدان) مذكوراً بوصفي رفيقة حمزة في السفر. حمزة مسافر بالسيارة، تلك كانت طريقته في إتمام الأمر، فالنساء في السعودية يغطين رؤوسهن ووجوههن، ولن يشك أحد في زوجة حمزة، وهي مرتدية النقاب، فعلى الحدود سيقوم الجنود بالتأكد من هويتها، لكن لن يكونوا عديمي الإحساس، ويطلبوا منها كشف وجهها ليتحققوا أنها هي المدعوة فدوى، كما في الصورة. أخبرني أنس لاحقاً أن حمزة ظل يبحث غادة، ويذكرها، قائلاً: «الآن اسمك فدوى».

لكن في تلك اللحظة، وأنا في غرفتي كان لا يزال لدي أمل في منع حدوث هذا كله، فأرجعت الأوراق داخل الظرف، وأقفلت عليها في خزانة غرفة نومي، ثم أقفلت باب الغرفة، وخبأت المفتاح.

لم يطل الأمر، حتى استيقظ حمزة، وذهب إلى المطبخ ليجد حقيبته مفتوحة وربطات عنقه وجواربه وقمصانه مبعثرة على الأرض. فاحمر وجهه غضباً.

«أين الظرف يا فدوى؟»

«لن أعطيك إياه».

بدأ حمزة يصرخ علي؛ لأعطيه الظرف، ثم دفعني إلى الحائط، فهو لم يمد يده علي أبداً من قبل، دفعته أنا بدوري، ثم صفعني على وجهي، وشد شعري.

التقطت حوض نبتة من على عتبة النافذة، وكسرتة على رأسه.

أسرع يوسف وأنس إلى الغرفة ليحولاً بيننا، ممسكين أرجلنا.

«بابا، ماما، توقفوا عن الشجار!».

دفعني حمزة من أمامه، وذهب يبحث عن الظرف في أنحاء المنزل، وعندما وجد باب غرفة نومي مقفلاً رجع للخلف، وركله بقوة، فانخلع الباب، ثم رمى بطانياتي على الأرض، وقلب الفرشة، لكنه لم يجد الظرف، وفي النهاية كسر باب الخزانة، فعرفت أنني هُزمت، بعد ذلك أخذ الظرف، ووضع ملابسه في حقيبته، وغادر ليقيم في فندق.

وفى الثلاثين من شهر تموز قرع حمزة الباب الأمامى، ففتحت له.

«يوسف، أنس، سارة، جهزوا أنفسكم، سوف نذهب لتسوق، ونشتري ثياباً مدرسية جديدة».

«لا يا حمزة، لن تأخذ أطفالى بعيداً عنى».

ثم مرّ من أمامى.

عندما جهز الأطفال أنفسهم أخذهم للخارج دون أن يقول كلمة.

أمسكت بروان وعبد الرحمن، وتبعته حمزة.

«حمزة، خذ ما تبقى من أطفالك أيضاً».

«لا تحرجى نفسك يا فدوى».

«خذ روان وعبد الرحمن، أبقِ الأطفال مع بعضهم».

اعتقدت أنهم سوف يرجعون، وانتظرت إلى بعد حلول الظلام.

تأخر المساء، ولم يرجع حمزة والأطفال بعد من رحلة التسوق؛ لذلك قررت أن أخرج، وأبحث عنهم، جهزت روان، ووضعت عبد الرحمن فى عربة الأطفال، ثم مشينا فى الشارع الذى كان فيه محل الأحذية الذى يملكه أبو حمزة، فربما توقف حمزة هناك ليرى أصدقاء أبيه القدامى، سألت هنا وهناك، لكن لم يرَ أحد حمزة والأطفال، ثم سألتى رجل (أبو حسن، وهو صديق والد حمزة): ما المشكلة؟

أجبتة، محاولة ألا أبدو مذعورة جداً: «أخذ زوجى أولادى، ولا أعرف أين هم».

«لا تقلقى، فهو أبوههم، ولن يؤذيههم، وهو يعرف أنك أمهم، وأنتك تتظنرينهم، أنا متأكد

أنه سيعيدهم إلى المنزل قريباً».

ابتسمت له، وشكرته على مساعدته، ثم رجعت إلى المنزل، لكن فى اليوم المقبل أيضاً لم أسمع خبراً من حمزة، فذهبت إلى الشارع نفسه مرة أخرى، وسألت جاره إن كان رأى حمزة؟، لكن دون جدوى. اتصلت على جوال حمزة المتنقل وبمنزلنا فى السعودية وبمنزل والديه فى فلسطين، لكن لم يرد على أحد، ثم عاودت الاتصال مرة تلو الأخرى ويوماً بعد يوم.



بعد أن مرّ اثنا عشر يوماً سمعت أخيراً صوت سماعة الهاتف ترتفع، وردّ علي يوسف. إذن أخذهما حمزة إلى السعودية، كما اعتقدت، أوشكت أن أبكي عندما سمعت صوت ابني.

«مرحباً ماما، كيف حالك؟»

«أنا بخير يا يوسف، وأنت؟» حاولت أن أخفي عنه قلقي الشديد.

تحدثت معه بضع دقائق، ثم تحدثت مع أنس. وبعد أن طمأنني بأنه بخير طلبت منه أن أتحدث مع سارة.

سكت لحظة.

«إنها ليست هنا يا ماما».

«ماذا تعني أنها ليست هنا؟ أين هي إذن؟».

«تركها أبي في فلسطين عند سيدي وستي».

«من عندكم الآن؟».

«الخالدة غادة».

يا إلهي، ابنتي وحدها دون والديها أو إخوانها! لذلك ذهبت، واتصلت بوالديّ حمزة مرة أخرى، كنت أعرف أنهم في النهاية سوف يسأمون من سماع الهاتف يرن باستمرار، كانت حماتي هي من استسلمت، وردّت علي أخيراً.

«ألو؟».

«هل تعيش سارة عندكم؟».

«نعم» لم تقل أي كلمة أخرى، بل أعطت سماعة الهاتف لزوجها.

«مرحباً يا فدوى».

«أريد ابنتي» استغفيت عن تحيات الأدب في هذه المرحلة، فأنا لم أعد أحترم هؤلاء

الأشخاص.

«أعطني ابنتي! أريدها أن تعيش معي!».

بدا (حمای) مدهوشًا، وقال: «لماذا تصرخین یا فدوی؟ علیک أن تتحدثی مع زوجک فی هذه الأمور».

«ربما آتی إلى فلسطين، وأخذها، لن تستطيع إیقافی».

ضحک قائلاً: «افعلی ذلك، تعالی!» ثم أنهى المكالمة قبل أن أتمكن من قول شيء آخر، كنت أعرف أنه لا یصدق أنني سأقوم بذلك خوفًا مما سیفعله حمزة بی، عندما یكتشف الأمر. لم یعجبني بقاء سارة مع جدیها، ولم أكن مقتنعة بأنهم سیخبروننی إن حدث لها مكروه، أردت أن أسمع صوتها؛ حتى أتأكد أنها بخیر؛ لذلك أجريت فی الیوم المقبل مكالمة خارجية إلى فلسطين، وطلبت أن أتحدث مع سارة.

بدا (حمای) مثیرًا غضبًا.

«سارة سعیدة یا فدوی، إنها تلعب فی الخارج. دعیها وشأنها».

كانت المكالمات باهظة الثمن، لكن كان علی التحدث مع ابنتی، وفی الیوم الثالث أخبرونی بأن سارة لا تستطيع التحدث علی الهاتف؛ لأنها نائمة، جعلتني كل تلك المماطلات أتوقع أسوأ الاحتمالات، فقررت أن أسافر إلى فلسطين لأرى ابنتی. كان جواز سفري معی، لذلك كان بإمكانی مغادرة البلد.

كان الوضع سیئًا فی إسرائيل فی ذلك العام، وكنت متأكدة أن والديّ سیمنعانی من الذهاب إن علما خطتي للسفر، وهكذا اتصلت بمنیره زوجة أخي (لیس منیره بنت خالتي صديقة الطفولة) وطلبت منها الاعتناء بروان وعبد الرحمن بضعة أيام، ثم حزمت بعض الملابس والحفاظات، وأعطیت منیره بعض المال؛ لتنفقه علی الطفلین.

سألتنی روان الصغیرة: «ماما، إلى أين أنت ذاهبة؟».

قبلت خدها الناعم، وهمست فی أذنها: إننی سأرجع، وأحضر أختک معی للمنزل. ثم استقلت سيارة أجرة إلى منزلی، واتصلت بأختی الكبيرة (نعمة) حتى یعرف أحدهم أين ذهبت فی حال حدوث شيء.

«لا تخبری أحدًا إلى أين أنا ذاهبة، حتى أصل إلى هناك».

«لن أفعل يا فدوى. اعتني بنفسك!».

بعد ذلك، وأول مرة في حياتي، شرعت أسافر وحدي، فوضعت الحجاب حول رأسي، وأنزلت النقاب على وجهي. وبحقيبة صغيرة تحت ذراعي أوقفت سيارة أجرة، وطلبت من السائق أن يأخذني إلى الحدود، عبرت خلال نقاط التفتيش الواقعة على الجهة الأردنية والجهة الإسرائيلية من الحدود. ثم طلب مني جندي إسرائيلي أن أرفع نقابي، وأريه وجهي، فقبلت.

بعد نقطة التفتيش الثانية أخذت سيارة أجرة من الحدود إلى محطة الحافلات. لم يسلك سائق سيارة الأجرة المسار المعتاد، بل ظل يغير الشوارع، ويسلك طرقاً مجهولة حول الجبال. تشاركت أنا وركاب آخرون سيارة الأجرة، وكان على كل واحد منا دفع ١٠٠ شيكل.

احتج راكب في المقعد الأمامي، قائلاً: «هذا كثير جداً!».

كشّر السائق، وضحك قليلاً، ثم قال: «انتظر، وستعرف لماذا!».

وبعد مدة قصيرة من انطلاقنا وصلنا بالسيارة إلى ممر جبلي ضيق، وتوقفت سيارة الأجرة فجأة كان في منتصف الطريق كومة كبيرة من الحجارة رماها بعض الأطفال الإسرائيليين، كوموها هناك؛ لذلك كان على الرجال في سيارة الأجرة أن يترجلوا، وينزلوا من السيارة؛ لإزاحة الحجارة عن الطريق؛ حتى تمر السيارة، ثم تقدمنا قليلاً، وتوقفنا عندما رأينا كومة أخرى من الحجارة.

أنزلت النافذة؛ لأدخل بعض الهواء النقي إلى السيارة، لكن السائق حذرني بسرعة؛ لكي أغلقها. وفوراً بعد أن أغلقتها بدأ مجموعة من أطفال إسرائيليين رمي الحجارة علينا، وكنت أراقب ما يجري، بينما كانت الحجارة ذات الحواف المسننة تضرب زجاج السيارة، وتقع على الأرض، وعندما نظرت ورائي رأيتهم يرجعون الحجارة إلى منتصف الطريق؛ ليكونوا كومة جديدة من الحجارة، ويلقوها على من يأتي بعدنا من المارة.

بعد ثلاث ساعات وصلنا أخيراً وجهتنا، ثم مشيت حتى وجدت الحافلة المتوجهة إلى بلدة (دار أبو مشعل). كنت أول شخص يركب الحافلة، وكان علي الانتظار حتى تمتلئ بالكامل، ثم نطلق. وقفت بالقرب من السائق؛ لأدفع الأجرة لكن لم أعرف ما العملة المستخدمة محلياً، خجلت قليلاً، ووضعت في يدي أوراقاً نقدية عدة مختلفة الشكل.

«أى واحدة تريد؟».

«أأست من هذه المنطقة؟».

«لا».

شرح لى بصبر الفرق بين الشىكل والنصف شىكل، وساعدنى على احتساب أجرة الحافلة، ثم سألنى إلى أى مكان فى المدينة أريد أن أذهب، كنت قد قررت من قبل أن أتحدث مع خالات حمزة قبل رؤية والدى فى حال احتجت إلى مساندة.

«هل تعرف أم أشرف؟».

سكت السائق لحظة.

«ممم، نعم، لكن أى واحدة؟».

لم أستطع تذكر اسم زوجها، لذلك حاولت تذكر معلومات أخرى يمكن أن تساعد.

«إنها تعيش فى منازل البلدة القديمة، ولدىها أخت اسمها أم حمزة تعيش مع زوجها فى منازل البلدة الجديدة».

«آه، أعرف أم أشرف تلك لا تقلقى. سوف آخذك إلى هناك».

جلست على مقعدى، ورتبت نقابى، وبعد أن تحركت الحافلة التفتت جانبى، فلاحظت أننى أعرف المرأة التى تجلس بقربى، كان اسمها الحاجة صالحة (كنا ننادىها باسمها، وليس بكنيتها) وكانت قد زارتنى فى نيويورك، وأقامت عندنا أسبوعاً، أردت أن أصرخ بأعلى صوتى، وأعانقها لهذه المصادفة غير المتوقعة، لكن عندئذ سيعرف كل من فى الحافلة من أنا؛ لذلك لم أرد المخاطرة بأن يعرف أهل زوجى أننى هنا قبل أن أكون مستعدة لإخبارهم بذلك.

جلست بصمت، بينما طافت الحافلة ببلدة (دار أبومشعل) الصغيرة، وكنا نتوقف بين حين وآخر؛ لىترجل الركاب. وفى النهاية عندما بقيت أنا والسائق فقط فى الحافلة سألنى مرة أخرى إن كنت أعرف اسم زوج أم أشرف؟

«حسنًا، أنا على أى حال أعرف أى أم أشرف تريدين، وهل أنت من العائلة؟».

«نعم».

«لأم أشرف ابن أخ اسمه حمزة، الجميع في البلدة يتحدث عنه الآن بسبب الشيء الرهيب الذي فعله، ولا أحد هنا يحترمه بعد الآن، فهو قد تزوج امرأة أخرى دون أي سبب، لديه خمسة أطفال وسيمون، وكل من التقى زوجته يعرف أنها امرأة طيبة، لكن من يدري، ربما يريد أطفالاً أكثر، ولا تستطيع منحه إياهم».

وفجأة خرجت الكلمات من فمي دون وعي، وأجبته: «لا، ليس ذلك هو السبب، فهي لا تزال تمنحه الأطفال، أنا فدوى (أم يوسف) زوجته الأولى، وقد أنجبت له ابناً قبل مدة قصيرة».

«أنت زوجته الأولى! أنا آسف، لم أقصد أن أتحدث كثيراً عن عائلتك، لكن، إن سمحت لي أن أسأل: لماذا فعل زوجك هذا بك؟».

تتهددت، وحاولت أن أفكر في جواب مؤدب، وقلت له: «لا أعرف، أرجوك، دعنا لا نتحدث عن هذا الأمر».

ابتسم السائق لي ابتسامة تعاطف، وأنزلني عند ناصية الشارع. ثم مشيت صفاً من البيوت إلى أن وصلت إلى منزل أم أشرف، وقرعت بابها، وأنا مترددة قليلاً، فتح زوجها الباب، وأخبرته من أكون.

«أم يوسف، ما هذه المفاجأة؟! تفضلي، تفضلي. خرجت أم أشرف للتسوق لعرس ابنتها، لكنها سوف ترجع بعد الظهر، وإلى حين عودتها سوف تأخذك بناتي لزيارة الخالة أم إبراهيم».

عندما رأته أم إبراهيم واقفة على بابها مع بنات أختها تغرغرت عيناها بالدموع، وتبلل خداهما وأنفها، وعندما رأيتها تبكي على هذا النحو بدأت أنا أيضاً بالبكاء.

«أرجوك توقفي عن البكاء يا خالة».

«لا أستطيع! فأنا لا أفهم لماذا فعل حمزة هذا بك يا أم يوسف».

أخبرتها لماذا جئت إلى فلسطين، وسألته إن كنت قد ذهبت لرؤية والدي حمزة.

«لا، لم أذهب، لكنني سأفعل لاحقاً يجب أن أكون حذرة عند فعل هذا؛ حتى أتمكن من استرجاع ابنتي سارة».

«هل ستأخذين ابنتك معك للمنزل؟ لكن حمزة قال: إنك لا تريدينها، لقد أخبر الجميع بذلك، وقال: إن هذا هو سبب إحضارها معه».

«أنت أم أيضاً يا خالة أم إبراهيم، وتعرفين أن هذا غير صحيح. فلماذا قد أخطر بحياتي مسافرة عبر منطقة حرب إن لم أرد ابنتي، لا، هذا غير صحيح لم أرغب أبداً في التخلي عنها، حمزة أخذها مني».

نظرت إلى أم إبراهيم مدهوشةً، عندما سمعت هذه التطورات الجديدة في القصة.  
«لا تقلقي يا أم يوسف، دعينا ننتظر أم أشرف حتى تعود للمنزل، وبعد ذلك سنفكر ثلاثتنا فيما سنفعله، في أثناء ذلك عليك أن تأكلي شيئاً».

في الحقيقة لم أتناول شيئاً طوال اليوم إلا كيساً من الشيبسي، حتى إنني لم أشرب شيئاً طوال اليوم أيضاً؛ لأتجنب الذهاب إلى المرحاض في أثناء عبورنا منطقة الحرب. كنت لأزال غير جائعة، لكن أم إبراهيم كانت لحوحة جداً، ولم يهدأ بالها إلا عندما أكلت صحناً من الرز والباشية، وبعد أن تناولت أنا وبنات أختها طعام الغداء، وصلينا ذهبنا لنتلقى أم أشرف في منزلها.

عندما وصلت بيت أم أشرف أخيراً، فإذا بها قادمة، ورأيتني في غرفة المعيشة رمت ما في يديها، وركضت لتعانقني، وتقبلني، ثم قصصت عليها ما حدث معي.  
«لماذا لا تأتيين معي للتحدث مع والديه؟».

«لا، لا أريد أن أراهما».

لذلك ذهبت أم أشرف للتحدث معهما نيابة عني، وعندما عادت أخبرتني بأن (حماتي) كان مدهوشاً؛ لأنني لم آت لأراه هو وزوجته أولاً.

«(ما زال هذا المنزل منزلها، اطلبي منها أن تأتي لتقييم معنا ومع ابنتها) هذا ما قاله لي، فما رأيك يا أم يوسف؟».

«لا، يا خالتي، لا أستطيع لقد تزوج امرأة أخرى، وأخذها إلى منزل والديه، فهو ليس منزلي بعد الآن، أرجوك دعيني أقيم عندك بدلاً من ذلك».

«بلا ريب تستطيعين الإقامة عندي إن رغبت، لكن في بالي شيء أفضل من ذلك بكثير،



لقد اتصلت بمحمد، أبي زوجة حمزة السابقة، وهو يعيش في بورتوريكو حالياً، وإنه يملك منزلاً هنا. أخبرني محمد بأنه لا مانع من أن تقيمي أنت وبناتي في منزله في أثناء وجودك في البلدة، وأرسل لك أحرّ التمنيات، وأخبرنا بأن نفضل ما في وسعنا لمساعدتك على استرجاع ابنتك».

«شكراً لك يا خالتي».

أخذتني أم أشرف إلى المدرسة التي تدرس فيها ابنتي (سارة) ثم تحدثنا إلى مديرة المدرسة، التي قامت باستدعاء سارة إلى مكتبها، وعندما رأته سارة جالسة في الغرفة بدأت بالبكاء، وعانقتني بسرعة، لكن بعد ذلك وقفت في الغرفة مرتبكة قليلاً.

«سارة حبيبتي، لقد أتيت إلى هنا لأراك، وأخذك معي إلى الأردن!».

بدا أنها تريد أن تقول لي شيئاً، لكنها بقيت صامته كان عمرها ثماني سنوات ونصفاً في ذلك الحين، وكانت خجولة قليلاً، حضنتها بشدة لحظة، ورجعت على فصلها إلى حصتها الدراسية، وأخبرتها بأن تذهب إلى المنزل مع أصغر بنات أم أشرف، التي كانت في صفها نفسه.

بينما كنا ننتظر انتهاء اليوم الدراسي ذهبت أنا وأم أشرف إلى منزل أم إبراهيم. وكان (حماتي) ينتظرنني هناك؛ ليتحدث معي.

«تعالى معنا للمنزل يا فدوى، تعالى وأقيمي في منزلك، وقابلي ابنتك».

«لا، أنا لذي مكان أقيم فيه».

«فدوى، لا ترتكبي خطأ».

«أنا لا أرتكب خطأ، فمنزلك ليس منزلي بعد الآن، وأنت تعرف من عاش هناك».

«لم أكن أنا وحماتك السبب في زواج حمزة، ونحن لم نفعل شيئاً لإيذائك».

لم أستطع أن أمرّ على تلك الكذبة دون تعليق.

«لا تخبرني بأنكما لستما السبب! فأنا أعرف ما فعلتما بي أنت وزوجتك دمرتما حياتي».

وعندما أدرك أن لا جدوى توقف عن محاولة تغيير رأبي، وعاد لمنزله، وبعد قليل رجعت سارة إلى المنزل من المدرسة، وانتقلت أنا وسارة وابنتا خالة حمزة إلى منزل محمد، وبقينا مستيقظات إلى وقت متأخر من الليل، حاولت ابنتا خالة حمزة جهدهما أن يجعلاني أضحك ليخففا من توتر الوضع، وفي منتصف الليل بدتا مدهوشتين كيف مر الوقت بهذه سرعة!

«أسرعى يا أم يوسف، ساعدىنا على إطفاء جميع المصابىح!» وانطلقتا من غرفة لأخرى لإطفاء المصابىح، ثم رجعتا وبأيدىهما شموع.

«لم أطفالتما المصابىح؟ أنتما لستما صغيرتىن، وىحق لكما أن تسهرا.»

«أم يوسف، تعالى وانظرى خارج النافذة.»

تبعتهما، وراقبت من زاوىة الستارة عندما أزنهنا قلىلاً، كان الجنود الإسرائىلىون يسىرون فى كل شارع.

«علىنا أن نطفئ مصابىح المنزل كل لىلة عند منتصف اللىل، فإذا تركنا ولو مصباحاً واحداً مشتعلاً، ورأنا الجنود فسوف يطلقون النار على منزلنا، لا ىسمح لنا بعد منتصف اللىل إلا باستخدام الشموع إذا احتجنا إلى أن نذهب إلى الحمام أو إلى المطبخ.»

احتجت إلى لحظة لأسترجع صوتى، فقد صدمت كثيراً بما سمعته، ولما تكلمت تكلمت همساً. «لم تعىشون على هذا النحو؟»

«عشنا فى هذا الجو سنوات عدة. ربما ىبدو الأمر غريباً لك، لكنه شىء طبعى بالنسبة إلینا.» وعندما حان وقت النوم جاءت سارة بىن ذراعى، ووضعت رأسها على صدرى.

وبعد بضع دقائق سألتنى بنعومة: «ماما، لماذا لا تحبىننى؟»

«من قال لك هذا؟ لماذا تعتقدىن أننى لا أحبك؟»

«الجمىع فى منزل جدى يقولون هذا، وقال لى أبى: إنه أحضرنى إلى هنا؛ لأنك لا ترىدىننى.»

«سارة، ألا ترى الوضع فى إسرائىل الآن؟ لماذا قد أخاطر بالقدوم هنا إن لم أحبك؟»  
«لا أرىد البقاء هنا يا ماما.»

«أعرف ذلك، وأنا أىضاً لا أرىدك أن تبقى هنا، لكننى لا أستطىع إرجاعك للوطن الآن؛ لأن جواز سفرك لىس معى.»  
«جواز سفرى مع جدى.»

وفى صباح الیوم المقبل ذهبت أم أشرف لتطلب من والد حمزة إعطاءها جواز سفر سارة، لكن احمر وجهه غضباً، وبدأ ىصرخ علیها، كما أخبرتنى.



«جواز السفر ليس معي! كل ما معي هو شهادة ولادتها! خذي هاتفي، واتصلي بحمزة،  
واسأليه بنفسك إن كنت لا تصدقيني».

اتصلت أم أشرف بحمزة في السعودية، وسألته عن جواز سفر سارة.  
«لا، يا خالتي، إنه ليس مع أبي، لكن لا تقلقي! سوف أرجع سارة إلى الأردن. أعدك بذلك».  
وفي اليوم المقبل جاء (حمای) ليراني، ثم أعطاني هاتفه الخليوي، قائلاً:  
«تحدثي مع زوجك».

«حمزة؟».

«عودي للمنزل يا فدوى، سوف أرجع سارة إلى الأردن أول أيام عيد الفطر».  
«لكن باقٍ على العيد ثلاثة أشهر!».  
«لا تفعلي شيئاً أحقق يا فدوى، اهدئي».

طلبت من أم أشرف رأيها.

«ماذا لو كان يكذب علي؟».

«تبدو تلك خطة جيدة يا أم يوسف، فإذا كان يكذب سوف نجد طريقة أخرى لنرجع  
ابنتك إليك».

رجع (حمای) إلى منزله، وعرض علي أبناء خالة حمزة أن يساعدوني على الذهاب إلى  
السفارة الأمريكية لأرى ما يمكن عمله، لكن أم أشرف أسكتت الجميع بسرعة.

«دعونا ننتظر، ونرى ما إن كان حمزة يلتزم بوعدته أم لا».

قبلت نصيحتها، وأنا مترددة، وعدت إلى الأردن دون ابنتي سارة.

